

خطبة جمعة بعنوان

[الإتحاف بأهمية تحري أسباب العفاف]

لفضيلة شَيْخِنَا العلامة:

أبي عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري

* ١٧ ذو القعدة ١٤٤٣ هجرية *

* مسجد الريان بور سيئون *

* فرغها : أبو عبدالله زياد المليكي *

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: 102].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: 1].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: 70-71]

أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: إن الله عز وجل خلق العباد من نفس واحدة، خلق هذا الإنسان وهذه البشرية من نفس واحدة كما قال جل وعلا: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} [النساء: 1]

وهو آدم عليه الصلاة والسلام، وخلق منها زوجها وهي حواء، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء.

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ

ضِلْعِ الْبَخَارِيِّ (3331) ومسلم (1486) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وجاء ما يبين أنها من ضلع آدم.

ثم إن الله عز وجل بث منهما رجالا كثيرا ونساء، فكل ما ترى من البشرية برها وفاجرها مسلمها وكافرها ويأجوج ومأجوج وسائر بني آدم كلهم من تلك النفس الواحدة، بثهم الله سبحانه وتعالى ونشرهم في هذه المعمورة، وذلك لغاية نبيلة أرادها الله جل وعلا منهم وهي عبادته، قال الله: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} (56) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (57) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (58){[الذاريات:56،58]}.

فلم يخلقهم سدى، ولم يجدهم عبثا، وإنما خلقهم لهذه الغاية العظيمة وهي عبادته جل وعلا وتوحيده، وكان أساس هذه الخليقة الآدمية ومقاصدها هو عبادة الله، وتكثير النسل في هذه الأرض لعمرانها، ولحكمة أرادها الله جل وعلا، بينه في كتابه أعلاها عبادة الله جل وعلا، فشرع الله سبحانه وتعالى هذه الأمور بما في ذلك الأنكحة الشرعية لتواجد الآدمي وتناسله وتكاثره، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: "تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ"، فإني مكاثِرٌ بكم الأنبياء يوم القيامة. أخرجه أحمد (13594)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

فكان من معاني ومقاصد بث البشرية وإيجاد البشرية هو حكمة رب البرية سبحانه وتعالى، وأن يعمر هذا الكون بطاعة الله جل وعلا، وأن تحصل المصاهرة، وتحصل الألفة بين الناس، وتتربط أواصرهم، وتجتمع أنسابهم ومصاهراتهم وتألف قلوبهم، هذه من الحكم والمقاصد لهذه الفطرة العظيمة، قال الله: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا^ق وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا (54){[الفرقان:54]}.

وأمر الله عز وجل بذلك في كتابه قال: {فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ}[النساء:4].

فأمر بذلك لهذه الحكمة العظيمة، ولغيرها من الحكم مما قد لا نعلمه، وقال الله سبحانه وتعالى في كتابه آمرا بذلك، قال سبحانه وتعالى: {وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ}[النور:32].

فأمر بإنكاح الأيامى، وأنه يحصل من وراء ذلك ما أراده الله عز وجل من الحكمة العظيمة والنفع للبشرية، وصار ذلك من سنن المرسلين، ومما يتقرب به إلى رب العالمين سبحانه وتعالى، قال الله: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً} [الرعد:38].

هكذا سائر المرسلين كما أخبر الله سبحانه في هذه الآية، وقال النبي عليه الصلاة والسلام حين سمع أن أقواما أتوا يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فتقالوه، قالوا: غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، أي ونحن نحتاج أن نزيد على هذه العبادة، قال: أحدهم أما أنا فأقوم الليل لا أنام، وقال الآخر: وأما أنا فأصوم الدهر لا أفطر، وقال الآخر: أما أنا فلن أتزوج النساء.

فأتاهم النبي صلى الله عليه وسلم حين بلغه هذا القول وقال أنتم الذين قلتهم كذا وكذا؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأقوم وأنام وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني. أخرجه البخاري (5063) من حديث أنس بن مالك رضي الله.

فدل هذا على أن من رغب عن سنة رسول الله أنه عازف عن الهدى النبوي والشريعة الإسلامية، التي ارتضاها الله عز وجل لسائر الأنبياء والمرسلين وآخرهم سيد البرية محمد صلى الله عليه وسلم، هذه مقاصد عظيمة، تتضمن حفظ النسب، حتى توصل الأرحام، وحتى يعلم الأقارب، وحتى تؤدي العاقلة قسطها مما أوجب الله عليها، وغير ذلك من المعاني مما دل عليه قول صلى الله عليه وسلم: "تَعَلَّمُوا مِنْ أُنْسَايَكُم مَّا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُم"؛ أخرجه الترمذي (1979)، وأحمد (8855) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

بهذه السنة والشريعة العظيمة تحفظ الأنساب، تصان الأعراض، تغض الأبصار، تحفظ الفروج،: "يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتِطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ. أخرجه البخاري (5065) من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم علل النبي صلى الله عليه وسلم هذا الأمر بقوله: " فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج.

إن اطلاق البصر أمر محرم، ربما أدى بالإنسان إلى مرض قلبه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: " النظر سهم مسموم من سهام إبليس.

وقال في الصحيحين، قال عليه الصلاة والسلام: "إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطَّرِيقَاتِ، فَقَالُوا: مَا لَنَا بِدُّ، إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا تَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ: فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجَالِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا، قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الْأَدَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ. البخاري(2465) ومسلم(2121)

والشاهد من ذلك أنه ألزمهم بغض البصر، أمر الله عز وجل العباد بذلك المؤمنين، {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْقُظُوا قُرُوجَهُمْ ۚ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (30)} وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْقُظْنَ قُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۚ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ ۚ مِنْ زِينَتِهِنَّ ۚ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (31)} [النور:30،31]

والشاهد من ذلك أن هذا النظر مرض للقلب، وسبب فتنة له، فلهذا أمر الله بغض البصر عن ذلك، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بغض البصر أيضا، ومنها الزواج سبب عظيم ووسيلة عظيمة لغض هذا البصر وكفه عن النظر إلى ما حرم الله، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، وهو أحسن للفرج الزواج أحسن للفرج، أي حفظ له، فهو سبب الفلاح للبشرية، قال الله: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1)} الذين هم في صلاتهم

خَاشِعُونَ (2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (3) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (4) وَالَّذِينَ هُمْ لِقُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (5) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (6) فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (7) {المؤمنون: 1، 7}.

أي من ابتغى غير ما أحل الله له فهو معتدي، قال الله: {وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ} [الطلاق: 1].

وأولئك هم العادون، وإنما القصد أن الزواج سبب عظيم لحفظ الفرج، حفظ الفروج وحصانتها وعفة العبد وصيانتها صيانة قيمه، صيانة شيمه، صيانة عرضه، صيانة نسله ونسبه، صيانة مكارمه، صيانة أخلاقه، فإذا هو الدين حفظ للدين، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من تزوج فقد

أحرر شطر دينه فليتق الله في الشطر الثاني.

كم من طائش من الشباب إذا تزوج رزن، وانشغل بمسؤولية الزواج، والرعاية، وتكاليف البيت، ومسؤولية الأبناء، وأصبح لا عناية له بالطيش، ولا انشغال له بالفتن والشهوات، إن هذا الزواج يعتبر حصانة من فتنة الزنا، وفتنة النظر، وفتنة وسائل وأسباب الزنا المؤدية إليه، وفي الصحيح في الحديث الثابت عن أبي أمامة الباهي رضي الله عنه: "إِنَّ فَتَى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي بِالزَّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَرَجَرُوهُ، وَقَالُوا: مَهْ! مَهْ! فَقَالَ: ادْنُ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا. قَالَ: فَجَلَسَ، قَالَ: أَتُحِبُّهُ لَأَمِّكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لَأُمَّهَاتِهِمْ. قَالَ: أَتُحِبُّهُ لَابْنَتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ. قَالَ: أَتُحِبُّهُ لَأَخْتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ. قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ. قَالَ: أَتُحِبُّهُ لَخَالَتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ. قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ،

وَحَصِّنْ فَرْجَهُ، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْقَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ؛ الصَّحِيحُ
المُسْنَدُ لِلشَّيْخِ مَقْبَلِ الْوَادِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ (501)

فَدَعَا لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذِهِ الثَّلَاثِ الدَّعَوَاتِ مَغْفِرَةَ الذَّنْبِ
وَتَحْصِينَ الْفَرْجِ، أَيُّ بِمَا أَحَلَّ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ، وَطَهَرَ قَلْبَهُ، فَكَانَ ذَلِكَ
الشَّابَّ بَعْدَ ذَلِكَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ، أَيُّ مِنَ الْمَحَارِمِ وَالنَّظَرِ إِلَيْهَا،
اسْتِجَابَ اللَّهُ فِيهِ الدَّعْوَةَ أَنْ يَعْفِيَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ. أَيُّهَا النَّاسُ: إِنْ مِنْ
الدَّعْوَةِ النَّبَوِيَّةِ هُوَ الْحَرَصُ عَلَى اعْفَافِ الشَّبَابِ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْعِبَادِ كَكُلِّ،
فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَهْدِ دَعْوَتِهِ وَهُوَ يَدْعُو إِلَى
الْعَفَافِ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالْمَآثِمِ وَالْفِتَنِ، وَبِالْأَخْصِ عَنْ الزِّنَا وَالْخَنَاءِ، فَقَدْ
أَخْبَرَ أَبُو سَفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ حِينَ سَأَلَهُ هِرْقَلُ
مَاذَا يَأْمُرُكُمْ قَالَ: "يَقُولُ اعْبُدُوا اللَّهَ لَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرَكُوا مَا
يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقِ وَالْعَفَافِ وَالصَّلَةِ؛"

البخاري (2681)، ومسلم (1773) بنحوه.

إِنْ هَذَا الْعَفَافُ الَّذِي كَانَ يَأْمُرُ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ
هُدْيُهُ وَسَجِيَّتُهُ وَصِفَتُهُ، كَمَا وَصَفَ جَعْفَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صِفَةَ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خُطْبَتِهِ أَمَامَ النَّجَاشِيِّ، قَالَ: "أَيُّهَا الْمَلِكُ كُنَّا
قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْقَوَاحِشَ وَنَقْطَعُ
الْأَرْحَامَ وَنُسِيءُ الْجَوَارَ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنْ الضَّعِيفِ فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى
بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّْا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَقَاقَهُ فَدَعَانَا
إِلَى اللَّهِ لِنُوحِدَهُ وَنَعْبُدَهُ وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ
الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ
وَحُسْنِ الْجَوَارِ وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالِدِمَاءِ وَتَهَاتَا عَنِ الْقَوَاحِشِ وَقَوْلِ
الزُّورِ وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا
نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ - قَالَ : فَعَدَدَ عَلَيْهِ أُمُورَ
الْإِسْلَامِ - فَصَدَقْنَاهُ وَأَمَنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ فَعَبَدْنَا اللَّهَ وَحْدَهُ
فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا فَعَدَا عَلَيْنَا
قَوْمُنَا فَعَدَبُونَا وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا لِيَرُدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ

اللَّهُ وَأَنْ تَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا تَسْتَحِلُّ مِنَ الْخَبَائِثِ "رواه أحمد (1740)
قال الله: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} [الأحزاب: 21].

في الحرص على العفاف، وعلى ما يتعلق بأسبابه ووسائله، "وَمَنْ يَسْتَغْفِرْ يُعَفِّهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَعِزْ يُوَفِّقْهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصْغِرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ"؛ أخرجه البخاري (1469)، ومسلم (1053) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

إن العفاف صيانة العفاف بالزواج الشرعي للرجال والنساء، وبأسبابه ووسائله، ومن لا يجد استعفف حتى يغنيه الله، قال الله: {وَلَيْسَتْغَفِرُ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} [النور: 33].

هكذا أمر الله سبحانه وتعالى بالعفاف، ولهذا فإن النبي صلى الله عليه وسلم أبان أن الفتن الحاصلة وهي فتن الفساد، وفتن الزنا، ووسائل الزنا لها ذرائع ووسائل وأسباب، وهناك لها صوارف أيضا ووسائل للبعد عنها، فوسائل للخير، وسائل للشر، وسائل للهدى، وسائل لضلال، وسائل للفساد وسائل للصيانة والعفة، ومن أعظم وسائل العفة والصيانة والحفاظ على الدين والعرض هو الزواج الشرعي، وقد أباح النبي صلى الله عليه وسلم دم من يتعد حد الله في البعد عن الزواج شر إلى غيره، ففي الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يحل دم امرء مسلم إلا بإحدى ثلاث، الزنى، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة"؛ البخاري (6878)، ومسلم (1676) باختلاف يسير.

فأهدر دمه، لأنه تعدى حد الله وجانب العفة والصيانة، ومن السبعة الذين يظلمهم الله في ظله ذوو العفة عن المآثم والمحارم، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ،

وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا، فُقِضَتِ عَيْنَاهُ. البخاري (1423)، ومسلم (1031).

وشاهدنا من الحديث هنا ورجل دعت امرأه ذات منصب وجمال: اجتمع عندها سببان من أسباب الرغبة، وأيضا ومع ذلك خوفه من الله سبحانه وعفته عن ذلك، تعرض بها لأن يكون في ظل عرش الله في ظله يوم القيامة، في الظل الذي يظل الله سبحانه وتعالى به عباده في أشد الكرب والمضاييق في تلك المواقف، سبعة يظلهم الله في ظله، إن العفة عباد الله يتوسل بها الإنسان في الشدائد، عفا عن المحارم بوسائل تلك العفة الزواج وأمثاله وبالخوف من الله، وفي الصحيحين قصة الثلاثة أصحاب الغار: "انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم ؛ حتى أووا المبيت إلى غار ، فدخلوه ، فاندحرت عليهم صخرة من الجبل ، فسدت عليهم الغار ، فقالوا : إته لا ينجيكم من هذا الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم ، قال رجل منهم : اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران ، وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا ، فنأى بي في طلب شيء يومًا فلم أرح عليهما حتى ناما ، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين ، فكرهت أن أغبق قبلهما أهلا أو مالا ، فليئت والقده على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر ، فاستيقظا ، فشربا غبوقهما ، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ، ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة ؟ فانفرجت شيئًا لا يستطيعون الخروج . وقال الآخر : اللهم كانت لي ابنة عم ، كانت أحب الناس إلي ، فأردتها على نفسها ، فامتنعت مني ، حتى ألفت بها سنة من السنين فجاءتني ، فأعطيتهما عشرين ومائة دينار ؛ على أن تخلي بيني وبين نفسها ، ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت : لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه ، فتحرجت من الوقوع عليها ، فانصرفت عنها ، وهي أحب الناس إلي ، وتركت الذهب الذي أعطيتها ، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ، فأفرج عنا ما

نحن فيه ، فانفجرت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها .
وقال الثالث : اللهم استأجرت أجراء ، فأعطيتهم أجرهم ، غير رجل
واحد ترك الذي له وذهب ، فتمرت أجره حتى كثرت منه الأموال ،
فجاءني بعد حين فقال : يا عبد الله أدني أجري ، فقلت له : كل ما ترى
من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق ، فقال : يا عبد الله لا
تستهزئ بي ، فقلت : إني لا أستهزئ بك ، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك
منه شيئاً ، اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأقرج عنا ما نحن
فيه ، فانفجرت الصخرة ، فخرجوا يمشون؛

أخرجه البخاري (2272) باختلاف يسير، ومسلم (2743) مختصراً
ومنه من توسل بالله عز وجل بخوفه من الله وتقواه وعفته عن هذا
المحرم مع شدة الرغبة فيه، ولكنه استعف، ونبي الله يوسف يقول:
{وَرَأَوْنَاهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ
قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (23)}
[يوسف:23].

ورفعه الله سبحانه وأثنى عليه وعصمه، وإنما الشاهد أن هذه العفة
ميزة عظيمة ومكرمة من الله سبحانه وتعالى، يجب السعي في أسبابه
ووسائلها، والسبل المؤدية إليها، والوقايات من أضرارها، وهكذا هذه
الأمور لها أسباب ووسائل أعنى وسائل العفة، وسائل الصيانة، من أجل
ذلك شرع الله الحجاب حتى يتعفف الرجال والنساء، من أجل ذلك
شرع الله السفر بالمحرم حتى تحصل العفة للرجال والنساء، والحذر
من الوقوع في أضرارها، والتعرض للفواحش، من أجل ذلك حرم الله
على المرأة أن تخرج متعطرة حتى لا تتعرف لذلك فتفتن وتفتن، ففي
الحديث الثابت عن أبي موسى رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال:

إذا استعطرت المرأة، فمرت على القوم ليجدوا ريحها، فهي كذا وكذا
قال قولاً شديداً . الصحيح المسند للشيخ مقبل الوادعي رحمه الله
(827)

أي تتعرض لوسائل ذلك، وتتعرض لأسباب الفتنة، وليس معناه أنه وقع، وإنما تعرض، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزَّوَا، أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ ، فَرَزَا الْعَيْنَ النَّظْرُ، وَزَا اللِّسَانَ الْمَنْطِقُ ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي ، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيُكَذِّبُهُ"؛ البخاري (6243) ، ومسلم (2657) .

ورواه أحمد (10920) ولفظه : (كُلُّ ابْنِ آدَمَ لَهُ حَظُّهُ مِنَ الزَّوَا ، فَرَزَا الْعَيْنَيْنِ النَّظْرُ، وَزَا الْيَدَيْنِ الْبَطْشُ، وَزَا الرَّجْلَيْنِ الْمَشْيُ، وَزَا الْقَمِ الْقَبْلُ ، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى ، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ الْفَرْجُ .

والأذنان تزنيان وزناهما الاستماع، أي لما يثير الفتنة من وصف القدود والخدود وما إلى ذلك، والرجلان تزنيان وزناهما الخطى، أي إلى ذلك المحرم، واليدان يزنيان وزناهما البطش، البطش المس، المصافحة للنساء، غير ذلك من غير المحارم، قال والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه.

قال أهل العلم: هذه وسائل وسبل للزنا، فمن اقترافها يرمى حول الحمى يوشك أن يقع فيه.

وهذا الاختلاط اختلاط الرجال بالنساء، إِيَّاكُمْ والدُخُولَ عَلَى النِّسَاءِ، فقالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَرَأَيْتَ الْحَمَو؟ قالَ: الْحَمَوُ الْمَوْتُ. أخرجه البخاري (5232) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

هذا كله سد لذريعة فاحشة عظيمة وهي فاحشة الزنا، كما قال: {وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا} (32) [الإسراء: 32].

ثم هياً الله للعبد سبل ووسائل للبعد عن الفاحشة المؤدية إلى نار جهنم، قال الله: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (68) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (69) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ

وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ^{قُلْ} وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
رَحِيمًا (70) {[الفرقان: 68، 70]}.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي أكرمنا بالإسلام، وجعل المؤمنين خير الأنام، وهياً لهم من الأعمال الصالحة ما يصونهم عن الجرائم والآثام، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة وسلاما دائمين على الدوام، أما بعد أيها الناس: إن التخلي أو التساهل أو التفريط في العفة والصيانة والبعد عن أسبابها ووسائلها لفتنة مؤذنة على العبد بالشر، وفيما ثبت عند ابن ماجة (4019) من حديث عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ! خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تَذَرَكُوهُنَّ:

لَمْ تَظْهَرَ الْقَاحِشَةَ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا. أَيُ تَصِيرُ مُجَاهِرَةً وَعَدَمُ مَبَالَةٍ بِهَا. إِلَّا قَشًا فِيهِمُ الطَّاعُونَ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا.

وتالله إننا لنرى وترون ويرى سائر من له بصر ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأمراض الفتاكة، فتارة يعرضون عن مرض الزهري، وتارة عن مرض الإيدز، وتارة عن مرض السيلان، وتارة عن مرض جدير القروء، وتارة عن أمراض فتاكة هدامة في البشرية، كل ذلك لأنهم ما أخذوا بالتوجيهات الإلهية، ولا حرصوا على الصيانة، ولا حرصوا على العفة، فصاروا كما وصفهم الله: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ (12)} [محمد:12]

وفي الحديث نفسه قال عليه الصلاة والسلام: "وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمَكِيلَ وَالْمِيزَانَ، إِلَّا أَخَذُوا بِالسِّنِينَ، وَشِدَّةِ الْمَوْتَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ. وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْ لَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا.

وَلَمْ يَنْقُصُوا عَهْدَ اللَّهِ، وَعَهْدَ رَسُولِهِ، إِلَّا سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ

غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ.

وَمَا لَمْ تَحْكَمْ أَيْمَتَهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ، إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بِأَسْهَمِ بَيْنَهُمْ.

وإنما الشاهد أن هذه المخالفات الحاصلة في الناس بعزوفهم عن الحلال عن الحرام، سبب لهم هذه المآثم والفتنة، قال الله: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (63) {النور:63}.

وقال الله: {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} (38) {البقرة:38}.

وقال الله: {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} (123) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَتَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (125) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (126) {طه:123،136}.

نسأل الله جل وعلا أن يمن علينا وعلى وسائر المسلمين بالفقه في الدين، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين، والحمد لله رب العالمين.